

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي ومصر نموذجاً.

بقلم

د. حياة عبيد *



ملخص

تميّز الإسلام بالوسطية فقد جاء بالعدل والمساواة والحرية والتسامح والتعاون. ويأتي هذا البحث لبيان أثر وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة -من النصارى واليهود والصابئة وغيرهم- في بناء حضارة المسلمين، ويوضح الدور الذي قام به الأطباء الذميون في الغرب الإسلامي ومصر في تطوير علوم الطب. وتوصلنا إلى أنّ وسطية الإسلام حفّزت أهل الذمة على الإبداع وتطوير العلوم الطبيّة، فأسهموا في بناء حضارة إسلامية إنسانية. الكلمات المفتاحية: الغرب الإسلامي، الوسطية، الحضارة الإسلامية، أهل الذمة، العلوم الطبيّة.

* أستاذ محاضر بقسم الشريعة، معهد العلوم الإسلامية، مخبر الدراسات الفقهية والقضائية بجامعة الوادي.

Abid.39@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/07 - تاريخ القبول: 2020/03/27 - تاريخ النشر: جويلية 2020

جامعة الوادي - الجزائر <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/202>

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي ارتضى لعباده الإسلام ديناً وسطاً لا غلو فيه ولا تفريط، والصلاة والسلام على نبيِّه المختار الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً للعالمين بالشريعة السمحة، شريعة الوسطية والاعتدال.

أهمية الموضوع: تميّز الإسلام بالوسطية في كلّ نظمه وأحكامه، فقد جاء بالعدل والمساواة والحرية والتسامح والرحمة والبرّ والتعاون والتكافل وتجسيد معاني الإنسانية. وتاريخ المسلمين في الغالب الأعم إبان ازدهار حضارتهم شاهد على وسطية أحكام الإسلام في التعامل مع أهل الذمّة، فلم يرفض وجودهم ولم يبعدهم من المشاركة في بناء الوطن الواحد، بل شجعهم من خلال تجسيد وسطية الإسلام في التعامل معهم على الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية، إذ كان مبدأ تكافؤ الفرص في طلب العلم والمشاركة في البحوث العلمية وتقلد أعلى المناصب الإدارية والعلمية على أساس الكفاءة في الدولة المسلمة حقيقة وواقعاً لم ينكره أحد.

وكتب تراجم العلماء في العلوم الحياتية تزخر بترجمات العلماء النصارى واليهود والصابئة والسريان والمجوس، والذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية كمواطنين مكرّمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فأسهّموا بكل فخر في بناء الحضارة الإسلامية. ولذلك فقد جاء موضوع بحثي بعنوان ب: "دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمّة في بناء الحضارة الإسلامية - الأقطاب من أهل الذمّة في الغرب الإسلامي ومصر نموذجاً -

الإشكالية: فكان بيان ذلك داعياً لطرح الإشكالية الرئيسة التالية:

"ما هو دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمّة في بناء الحضارة الإسلامية؟ وما هو الدور الذي قام به الأقطاب الذمّيون في الغرب الإسلامي ومصر في تطوير علوم الطب للإسهام في بناء الحضارة الإسلامية؟"

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمّة في بناء الحضارة الإسلامية - الأقطاب من أهل الذمّة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجاً - د. حياة عبيد

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- 1- بيان وسطية الإسلام ومظاهرها لدعوة المسلمين لتطبيقها في تعاملاتهم.
- 2- إبراز خصائص الحضارة الإسلامية وما تميزت به من تجسيد وسطية الإسلام.
- 3- اختيار نماذج من أطباء أهل الذمة في تاريخ المسلمين وبيان ما أسهموا به من بحوث علمية في علوم الطب لبناء الحضارة الإسلامية كأثر من آثار وسطية الإسلام في التعامل معهم.

الدراسات السابقة: وتنقسم إلى ثلاثة أصناف:

- 1- صنف تناول بالدراسة الوسطية في الإسلام، وذلك مثل كتاب الوسطية في الإسلام لد. فريد عبد القادر، والوسطية في القرآن الكريم لد. عليّ محمد الصلّبي، وقد اعتمدت عليها كثيرا في بيان مفهوم الوسطية وخصائصها وضوابطها.
- 2- صنف تناول بالدراسة أهل الذمة وأحكامهم في الإسلام، وبيان حقوقهم وواجباتهم، وذلك في جلّ كتب الفقه الإسلامي بمختلف مذاهبه، وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي لد. يوسف القرضاوي، وأحكام الذميين والمستأمنين لد. عبد الكريم زيدان، وقد استفدت من كل ذلك عند تطرقي لمفهوم أهل الذمة، ولحقوقهم وواجباتهم.
- 3- صنف تناول بالدراسة تراجم الأطباء مسلمين وغيرهم في الحضارات السابقة وفي حضارة الإسلام، وأهمها كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للطبيب ابن أبي أصيبعة، وقد اعتمدت عليه كلياً في تراجم الأطباء من أهل الذمة.

أما الجديد في بحثي: فيتمثل في بيان دور الأطباء من أهل الذمة من الغرب الإسلامي ومصر في الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية من خلال دراسة سير بعضهم وأعمالهم وإنجازاتهم، لإثبات أنّ ذلك كان ثمرة من ثمار وسطية الإسلام في التعامل معهم.

- منهجية المعالجة والتقسيم:** للإجابة على إشكالية البحث اعتمدت على المناهج التالية:
- المنهج الاستقرائي أثناء تتبع مفاهيم الوسطية وأهل الذمة والحضارة، وكذلك تتبع تراجم الأطباء من أهل الذمة وبيان أعمالهم العلمية في الطب والصيدلة.
 - المنهج التحليلي، وذلك عند تحليل أثر مظاهر وسطية الإسلام أثناء التعامل مع أهل الذمة سواء في تمكينهم من حقوقهم أو دعوتهم لأداء واجباتهم.

-المنهج الاستنباطي، وذلك أثناء استنباط الكيفية التي توصلت بها وسطية الإسلام لتشجيع أهل الذمة عامة والأطباء منهم خاصة في الإسهام في بناء الحضارة الإسلامية.

خطة المعالجة: ستم الإجابة على الإشكالية وفق التفصيل التالي: **مطلب تمهيدي** يتعرض لشرح مصطلحات البحث، ثم **مطلب أول** عن مظاهر وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة، **فمطلب ثان** يتناول دور الأطباء من أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية من خلال استعراض نماذج مختارة من الأطباء الذميين في الغرب الإسلامي ومصر، ليتوج البحث بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات.

المطلب التمهيدي: شرح وضبط مصطلحات البحث

سنتناول في هذا المطلب مفهوم الوسطية في الإسلام وخصائصها، وضوابطها ثم سماتها وملاحمها، ثم نتناول مفاهيم كل من أهل الذمة والحضارة الإسلامية.

أولاً: مفهوم الوسطية وخصائصها وضوابطها وسماتها:

1- **مفهوم الوسطية في الإسلام:** ليتضح لنا مفهوم الوسطية وجب تعريفها لغة واصطلاحاً، فقد جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدّة معانٍ، وهي جميعها مُتقاربة، تدلُّ على العدل والنصف. "وأعدّلُ الشّيء: أوَسَطُهُ ووَسَطُهُ. وأوسطُ الشّيء أفضلُه وخيارُه كوسَطِ المرعى خيرٌ من طرفيه"¹.

فلفظة الوسط ومنها الوسطية لا تخرج في معناها عن معاني العدل والفضل والخيرية، والنصف والبيّنة، قال فريد عبد القادر: "استقرّ عند العرب أنّهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير، والعدل، والنصفة، والجودة، والرّفعة، والمكانة العليّة"².

أمّا تعريفها عند علماء الشرع³ فهي تتحدد ببيان نصوص الشرع ودلالات اللغة العربية، فقد وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعددة، حيث وردت بلفظ: (وسطاً) و (الوسطى) و (أوسط) و (أوسطهم) و (وسطن)⁴.

وسنكتفي ببيان معنى لفظة (وسطاً) كما وردت في القرآن الكريم مسترشدين بأقوال المفسرين لبعض أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم في توضيح ذلك:

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجاً- د. حياة عبيد

وردت (وسطا) في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) البقرة/ 143، وقد جاء تفسير هذه الكلمة في السنة النبوية، وذكر لها المفسرون عدة معان كما يلي⁵:

أ - "عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعي نوح يقوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ"، (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فذلك قوله - جل ذكره -: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة/ 142 والوسط: العدل"⁶.

ب - وروى الطبري بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قال: عدولا⁷.

وقال أيضا: وأما الوسط فإنه من كلام العرب: الخيار، وأرى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين⁸.

ويرى الأستاذ فريد عبد القادر أن المفهوم الشرعي للوسطية يتمثل في كونها تعني العدالة والخيرية، وأن الوسطية مرتبطة في مفهومها بالصراف المستقيم كما توضحه سورة الفاتحة، وأن الوسطية تتعلق بالشهادة على الناس في الدنيا والآخرة، ففي الآخرة فبالشهادة على تبليغ الأنبياء دعوة الله، وأما في الدنيا فهي الشهادة على العالمين بالعلم والعمل⁹، ثم يخلص إلى تعريف للوسطية قائلا: "أن الوسطية هي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحججة عليهم"¹⁰.

بينما يرى د. علي محمد الصلابي¹¹ أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان: الخيرية أو ما يدل عليها كأفضل والأعدل أو العدل، والبينية: سواء أكانت حسية أو معنوية، فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلا في مصطلح الوسطية.

2- خصائص الوسطية: أهم خصائص الوسطية التي وُصف بها الإسلام عقيدة وشرعية

هي نفسها خصائص الإسلام، وهي:

أ- **ربانية المصدر والمنهج:** إن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى أهدافه هو منهج

رباني خالص لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) سورة النساء/ 174. وبذلك ضُمن أنَّ وسطية الإسلام هي منهج رباني خالص في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وشرائعه كلها.¹²

ب- الاعتدال والتوازن: "أما الإسلام بوسطيته فقد تميَّز بالتوازن وإعطاء كل الأطراف حقها المفروض"¹³، الوسطية تعني التوفيق بين أشياء كثيرة، كالتوفيق بين مطالب الفرد وبين مطالب الجماعة، والتوفيق بين العمل للعاجلة والآجلة وهكذا.¹⁴

ج- الثبات والاستمرارية: من خصائص الوسطية الجمع بين الثبات والتطور في توازن فريد، فكان الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الوسائل والأساليب، والثبات على الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات.¹⁵

3- ضوابط الوسطية: تناول الأستاذ فريد عبد القادر في كتابه الوسطية مسألة ضوابط الوسطية¹⁶، إذ يرى وجوب وجود ضوابط للوسطية تميَّزها عن سواها من المفاهيم، وقد حصر هذه الضوابط في ثلاث وهي: القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية، وفيما يلي شرح ذلك:

أ- القرآن الكريم: وهو دستور المسلمين "وعلى ذلك فكل مظهر وكل توجه خالف نصا من القرآن الكريم.. لا يكون إلا انحرافا عن الوسطية والاعتدال.."¹⁷.

ب- السنة المطهرة: لا يمكن الاكتفاء بالقرآن دون السنة المطهرة، فهما حلقة واحدة، لذا جاءت النصوص القرآنية تلزم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) النور/54. "إنَّ عدم الانضباط بكتاب الله وسنة رسوله محض الانحراف عن الصراط المستقيم"¹⁸. وفي ذلك ابتعاد عن الوسطية التي هي سمة هذا الدين وسمة أتباعه¹⁹.

ج- اللغة العربية: أنزل الله تعالى كتابه بلسان عربي مبين، "فطلب فهمه إنَّما يكون من هذا الطريق خاصَّة، لأنَّ الله تعالى يقول: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يوسف/2، وَقَالَ: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) الشعراء/ 195. فالعربية أداة لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة"²⁰.

4- سمات وملامح الوسطية: فصل د. علي محمد الصلاّبي في تناوله لملامح وسمات الوسطية في الإسلام مبرزا أهمية ذلك قائلا: " .. حتى لا تكون الوسطية مجالا لأرباب الشهوات وأصحاب الأهواء .."²¹.

ويؤكد الصلاّبي أنه من خلال استقراء القرآن الكريم توصل إلى تحديد سمات وملامح الوسطية فيما يلي: الخيرية، العدل، اليسر ورفع الحرج، الحكمة، الاستقامة، والبيئية. ويرى أيضا أنّ هذه الملامح بمجموعها تصلح ضابطا لتحديد الوسطية ومعرفتها، بما يرد على السؤال الذي لا بد أن يرد في أذهان الكثيرين أين ضابط الوسطية وكيف نميزها عن غيرها؟²²

ثانيا: مفهوم أهل الذمة:

1- تعريف أهل الذمة لغة واصطلاحا: يطلق لفظ الذمة على معان منها: الكفالة والعهد والأمان²³، والذمة العقد والحق، فأهل الذمة هم أهل العقد، ويقصد بها الأمان، قال أبو عبيدة الذمة هي: " الأمان في قوله صلى الله عليه وسلم: يسعى بذمتهم أدناهم"²⁴. وكذلك عند أبي عبيد في كتابه الأموال إذ يفهم منه أنّ الذمة هي الأمان، "في قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ، فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ الْجِزْيَةَ عَلَيْهِ))"²⁵. وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام²⁶.

2- حكمة مشروعية عقد الذمة: الهدف من عقد الذمة هو أن يترك الحربي القتال مع احتمال دخوله الإسلام عن طريق مخالطته للمسلمين، وإطلاعه على شرائع الإسلام، وليس المقصود منه تحصيل المال²⁷.

3- شروط عقد الذمة: اشترط فقهاء الحنفية²⁸ والشافعية²⁹ التأييد لصحة عقد الذمة، فلا يصح إذا كان موقوتا، أما الحنابلة فلم يذكروا هذا الشرط صراحة ولكنهم وصفوا عقد الذمة بالتأييد أثناء كلامهم³⁰ أما بقية الفقهاء فقد تركوا التصريح باعتبار التأييد من مقتضيات عقد الذمة وطبيعته³¹.

وقرر كثير من الفقهاء جواز عقد الذمة لجميع أصناف غير المسلمين³².

نخلص إلى أنّ عقد الذمة عقد مؤبد، يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم، وتمتعهم بحماية الجماعة الإسلامية ورعايتها، بشرط بذلهم "الجزية" والتزامهم أحكام القانون

الإسلامي في غير الشؤون الدينية، وبهذا يصيرون من أهل "دار الإسلام"، وهم بذلك مواطنون من نفس الدرجة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين³³.

ثالثاً: مفهوم الحضارة الإسلامية:

الحضارة لغة من حضر حضوراً نقيض المغيب، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي وهو المقيم في المدن.

ويذهب بعض الباحثين المعاصرين³⁴ إلى أن الحضارة لغة تعني الحضور والشهادة التي هي نقيض المغيب.

وعرّفت الحضارة الإسلامية بأنها نتاج لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام، سواء إيماناً وتصديقاً، أو ولاء وانتساباً، وهي خلاصة لتلاقح تلك الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء بها الإسلام هدايةً للناس كافة³⁵. فهي نشاط فكري إنساني تمت صياغته في إطار القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية³⁶.

وتتميز الحضارة الإسلامية بأنها الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية على حاجات الحياة كلها، من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية، الفردية والاجتماعية، ومن جميع المجالات العلمية والعملية³⁷، وهذه هي الوسطية في أوضح وأسمى صورها.

وللحضارة جانبان: جانب مادي وجانب نظري، الجانب المادي متمثل في كل المبتكرات، كفنون العمارة والهندسة والطب ووسائل التقنية، وهو ما يطلق عليه المدنية، والجانب الآخر متمثل في العلوم النظرية المتعلقة بالفكر والعقل والروح والإيمان والأدب واللغة والفلسفة والأخلاق والمشاعر والتعامل وغير ذلك، وهذا الجانب يطلق عليه الثقافة. وعلى ذلك فالحضارة هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، بمعنى أنها مجموع الحياة الإنسانية في صورتها المادية والنظرية³⁸.

المطلب الأول: مظاهر وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة:

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجاً- د. حياة عبيد

إنّ الأساس الذي بنيت عليه علاقة المسلمين بغير المسلمين واضحة في قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9) (المتحنة / 8 - 9). ويقوم التعامل معهم على أساس " لهم ما لنا وعليهم ما علينا" إلّا في أمور محددة مستثناة³⁹.

ويؤكد الكاساني في عدّة مواضع من كتابه البدائع: "أنّ أهل الكتاب إنّما تركوا بالذمة وقبول الجزية لا لرغبة فيما يؤخذ منهم، أو طمع في ذلك، بل للدعوة إلى الإسلام ليخالطوا المسلمين، فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه، وينظروا فيها فيروها مؤسّسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، فيرغبون فيه، فكان عقد الذمة لرجاء الإسلام"⁴⁰. ولتحقيق ذلك كانت وسطية الإسلام في تحديد معالم العلاقة معهم وأسس التعامل معهم مبنية على البرّ والقسط في احترامهم لحقوقهم وتمكينهم منها وكذا في مساعدتهم في أداء واجباتهم برفع العنت والظلم عنهم.

أولاً: حقوق أهل الذمة ومدى تجسيدها لوسطية الإسلام:

1- الحق في الحماية الخارجية والداخلية: أقرّ لهم الشرع بحق تمتعهم بحماية الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي من كل عدوان خارجي، ومن كل ظلم داخلي، حتى ينعموا بالأمن والاستقرار، وهو ما يظهر وسطية الإسلام بتحقيق العدل لهم، وتوفير الأمن والحرية لأنفسهم وأهلهم.

(أ) الحماية من الاعتداء الخارجي: "يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم، وفك أسرهم"⁴¹. وينقل القرافي قول ابن حزم: "إنّ من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنّ تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"⁴². وعلق على ذلك القرافي بقوله: "فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع إنّه لعظيم"⁴³.

(ب) الحماية من الظلم الداخلي: أوجب الإسلام ذلك، وحذّر المسلمين من أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم إلى أهل الذمة بأذى أو عدوان، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ألا

مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ؛ فَأَنَّا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))⁴⁴.

2- حرمة الدم والعرض والمال: وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم، كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم⁴⁵، وهنا تتجلى ملامح الوسطية في تجسيد الاستقامة والحكمة باحترام إنسانيتهم وكرامتهم واعتبارهم إخوة بموجب الانتفاء لبني آدم، والانتفاء للوطن الواحد.

فكانت دماؤهم وأنفسهم معصومة باتفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع⁴⁶. والإسلام يحترم ما يعدونه -حسب دينهم- مالا وإن لم يكن مالا في نظر المسلمين. فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالا مُتَقَوِّمًا، أما إذا ملكها غير المسلم، فهذا مالان عنده⁴⁷، فمن أتلّفها على الذمي عُزِّمَ قيمتها، كما يحمي الإسلام عرض الذمي⁴⁸.

3- حق الحرية: وهو مكفول في الإسلام لأهل الذمة، وعلى رأسها حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه، لا يُجبر على تركه إلى غيره، ولا يُضغَط عليه ليتحول منه إلى الإسلام، وأساس هذا الحق قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، البقرة/ 256، وكذلك صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم⁴⁹.

4- الحق في العمل والتجارة: لغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي، شأنهم في ذلك شأن المسلمين⁵⁰.

وفي تمكين أهل الذمة من معاشهم، وعدم إقصائهم من الحياة الاجتماعية والاقتصادية تتجلى ملامح وسطية الإسلام من عدل وخيرية واستقامة وساحة ورفع الحرج عنهم.

5- حق الضمان الاجتماعي: ضمن الإسلام لغير المسلمين في ظل دولته، كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه، "فقد مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرِبَ عضده من خلفه، وقال: من أيّ أهل الكتاب أنت؟

فقال: يهودي. قال: فما ألك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسّن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم "إنما الصّدقات للفقراء والمساكين"، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه⁵¹. وهل الوسطية غير البرّ والقسط والرحمة والخيرية واليسر ورفع الحرج عن الإنسان، مهما كان معتقده.

6- الحق في تولي الوظائف العامة: لأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية. وما عدا ذلك فيجوز إسناده إلى أهل الذمة إذا تحققت فيهم شروط الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة.

وقد تولّى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى كنصر بن هارون سنة 369هـ، وعيسى بن نسطورس سنة 380هـ⁵²، وهنا تظهر وسطية الإسلام عند التعامل مع أهل الذمة، فلم تبعدهم عن المشاركة في إدارة وطنهم، بل يسرت لهم فرص التكافؤ في التكوين والتوظيف ولو كانت تلك الوظائف وزارات وولايات⁵³.

7- حق المساواة في المواطنة: أهل الذمة مواطنون كالمسلمين، إذ اعترف النبي صلى الله عليه وسلم بحقوق المواطنة لجميع مكونات الدولة الإسلامية من مختلف الأعراق والأديان باعتبارهم أمة من دون الناس وليسوا من درجة ثانية وذلك بموجب نص صحيفة المدينة⁵⁴، ويقول فهمي هويدي: "إن أول وثيقة مكتوبة في تاريخ الإسلام التي حررها النبي وهو يرسي أسس المجتمع الإسلامي في المدينة، والتي تضمنت نصا اعتبر اليهود مع المسلمين أمة واحدة بحيث عوملوا كمواطنين في الدولة الإسلامية، ولم يعاملوا كأجانب ورعايا من الدرجة الثانية"⁵⁵.

ثانياً: واجبات أهل الذمة:

إن ملامح وسمات الوسطية تبدو واضحة حين التعمق في دراسة واجبات أهل الذمة في المجتمع الإسلامي، إذ ليس فيها ظلم ولا عنت عليهم، وإنما نجد العدل واليسر ورفع الحرج عنهم فيها جميعاً.

1. أداء الجزية والخراج: الجزية هي ضريبة سنوية على الرؤوس تتمثل في مقدار زهيد من المال يُفرض على الرجال البالغين القادرين، على حسب ثروتهم. أمّا الفقراء فلا جزية

عليهم⁵⁶.

وأما الخراج فهو ضريبة مالية تفرض على رقبة الأرض إذا بقيت في أيديهم⁵⁷. وكانت الدولة الإسلامية كثيرا ما تؤخر موعد تأدية الجزية لوقت الحصول على الغلات ليستطيع أهل الذمة تأديتها دون أن يرهقهم ذلك، فقال أبو عبيد: "وإنما وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم"⁵⁸.

2. التزام أحكام القانون الإسلامي في المعاملات المدنية ونحوها: وجب على أهل الذمة التزام أحكام الإسلام، لأنهم بمقتضى الذمة أصبحوا يحملون جنسية الدولة الإسلامية، فعليهم أن يتقيدوا بقوانينها التي لا تمس عقائدهم وحريةهم الدينية. فليس عليهم أي تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين⁵⁹، لذلك فرضت عليهم الجزية بدلا من الجهاد والزكاة، وليس عليهم في أحوالهم الشخصية والاجتماعية أن يتنازلوا عما أحله لهم دينهم، وإن كان قد حرمه الإسلام، كما في الزواج والطلاق وأكل الخنزير وشرب الخمر، وفيما عدا ذلك يلزمهم أن يتقيدوا بأحكام الشريعة الإسلامية في الدماء والأموال والأعراض -أي في النواحي المدنية والجنائية ونحوها- شأنهم في ذلك شأن المسلمين⁶⁰، فمن سرق من أهل الذمة أُقيم عليه حد السرقة، كما يُقام على المسلم، ومن قتل نفسا أو قطع طريقا، أو تعدى على مال، أو زنى بامرأة، أو رمى محصنة، أو غير ذلك من الجرائم أُخذ بها، وعوقب بما يعاقب به المسلم، لأن هذه الأمور مُحَرَّمَةٌ في ديننا، وقد التزموا حكم الإسلام في ما لا يخالف دينهم⁶¹.

ومثل ذلك المعاملات المالية والمدنية، من البيوع، والإيجارات والشركات وغيرها، فكل ما جاز من بيوع المسلمين وعقودهم جاز من بيوع أهل الذمة وعقودهم، وما يفسد منها عند المسلمين يفسد عند الذميين⁶².

3. احترام شعائر المسلمين ومراعاة مشاعرهم: وجب على أهل الذمة احترام شعور المسلمين، ومراعاة هيبة الدولة الإسلامية التي تظلمهم بحمايتها ورعايتها، فلا يجوز لهم أن يسبوا الإسلام أو رسوله أو كتابه جهرة، ولا أن يروجوا من العقائد والأفكار ما ينافي عقيدة الدولة ودينها⁶³.

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجا- د. حياة عبيد

المطلب الثاني: دور الأطباء الذميين من الغرب الإسلامي في بناء الحضارة الإسلامية:

وصفت الحضارة الإسلامية بأنها "حضارة محبة وسلام، ففي ظل السلام يكون الإنشاء والتعمير، وفي ظل السلام يأمن كل فرد على نفسه وعرضه وماله وأهله، فينصرف إلى العمل والإنتاج في هدوء وطمأنينة، حتى أطلق المستشرقون على ذلك الوضع اسم: السلم الإسلامي"⁶⁴.

وفي هذا المطلب سنتكلم عن مشاركة أهل الذمة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في الدولة الإسلامية، وسنقدم نماذج من أطباء ذميين شاركوا في تطوير وترقية العلوم الطبية، وبذلك أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية.

أولا: مشاركة أهل الذمة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية:

قال آدم ميتز: "ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلّق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوفيرة، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء، بل إنّ أهل الذمة نظموا أنفسهم، بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في الشام يهودا. على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى"⁶⁵، وكان يوحنا بن ماسويه النصراني الطبيب الخاص لخلفاء بني العباس في عهد قوتهم وأوج سلطانهم⁶⁶.

وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة، منهم نصر بن هارون سنة 369 هـ⁶⁷، بل أصبح أمر تولى أهل الذمة للمناصب الوزارية والإدارية الكبرى شيئا مألوفاً⁶⁸ إلى درجة جعلت الماوردي يفصل في مسألة جواز تولى أهل الذمة لوزارة التنفيذ في الدولة بينما مُنعوا من وزارة التفويض لاشتراطهم الإسلام في توليها⁶⁹ ولذلك نرى آدم ميتز يثبت ذلك متعجبا "من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال⁷⁰ والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأنّ النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام والشكوى من تحكيم أهل الذمة في أبحاث المسلمين شكوى قديمة"⁷¹.

اشتهر من بين أهل الذمة في العصر العباسي كثير من العظماء، مثل أسرة آل بختيشوع وهي عائلة من النصارى احتكرت حرفة الطب لدى الخلفاء لأكثر من ثلاثة قرون لكفاءتها وحسن أخلاقها وسيرتها، وأهم أفرادها جرجيس بن بختيشوع طبيب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وجبرائيل بن بختيشوع طبيب هارون الرشيد. وجبرائيل بن بختيشوع

طبيب الوزير جعفر بن يحيى البرمكي والخليفة المأمون⁷². ومن هؤلاء أيضًا حنين بن إسحاق رئيس بيت الحكمة ورئيس المترجمين⁷³، ويوحنا بن ماسويه الذي خدم الرشيد، وأسند إليه المأمون رئاسة بيت الحكمة⁷⁴. وما سبق نستنتج أن الحضارة الإسلامية استوعبت طاقات كل الأطياف التي كانت تحت ظلها، وكانت المناصب العليا في الدولة تمنح على أساس الكفاءة وحدها وهي معروضة لكل من نبع فاستحقها⁷⁵.

وقد كان طلب العلم متاحا لكل راغب من المسلمين ومن أهل الذمة، يدل عليه أن بعضهم كان أساتذة البعض الآخر، فقد درس كثير من الذميين على أيدي مدرسين وفقهاء مسلمين، ودرس كثير من العلماء المسلمين على أيدي أهل الذمة في الطب ومجالات العلوم الحياتية، من ذلك أن حنين بن إسحاق درس على أيدي الخليل بن أحمد وسيبويه حتى أصبح حجة في العربية⁷⁶، وتعلم يحيى بن عدي بن حميد. أفضه رجال عصره في المنطق. على يد الفارابي⁷⁷.

ثانيا: نماذج من الأطباء الذميين في الغرب الإسلامي وإسهاماتهم في بناء الحضارة الإسلامية:

اعتمدنا في اختيار هذه النماذج على الكتاب المشهور "عيون الأبناء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة (596هـ-1200م/668هـ-1270م)⁷⁸، وهو طبيب ومن عائلة عرفت بالتخصص في الطب، وقد اتسم ابن أبي أصيبعة بالموضوعية في كتابة تراجم الأطباء إلى حد كبير، مما جعل كتابه يحظى بمكانة عالية عند الباحثين بل وأصبح المعتمد عليه في معرفة تراجم وأخبار الطب والأطباء في الحضارة الإسلامية.

1- أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي⁷⁹: مغربي الأصل من مدينة فاس، رحل إلى الديار المصرية، وكان فاضلا في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم، واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي⁸⁰، ثم سافر إلى الشام، وأقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعتمد عليه في الطب، وظل يدرّس الطب في حلب إلى أن توفي بها، من كتبه: رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لأبقراط.

2- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (-/ت320ه)⁸¹: كان طبيبا فاضلا بليغا عالما مشهورا

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجا- د. حياة عبيد

بالحدق والمعرفة، جيد التصنيف عالي الأهمية، وشاع ذكره بالإسرائيلي، وهو من أهل مصر، وكان يكحل من أوليته أي طبيبا للعيون، ثم سكن القيروان ولازم إسحاق بن عمران⁸² وتعلم له، وخدم الإمام أبا محمد عبيد الله المهدي صاحب إفريقية بصناعة الطب، وكان بصيرا بالمنطق، متصرفا في ضروب المعارف.

من كتبه: الحميات⁸³، الأغذية والأدوية. من أشهر تلاميذه أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار الطبيب الحاذق⁸⁴.

3- سعيد بن البطريق (263هـ-328هـ)⁸⁵: من أهل فسطاط مصر، وكان طبيبا نصرانيا مشهورا عارفا بعلم صناعة الطب وعملها متقدما في زمانه، وكانت له دراية بعلم النصارى ومذاهبهم، عيّنه الخليفة القاهر بالله محمد بن أحمد المعتضد بالله، بطريقا على الإسكندرية وسمي أوثوشيوس سنة 321هـ، وبقي في مركزه إلى حين وفاته. من كتبه: كتاب في الطب، كتاب الجدل بين المخالف والنصراني، وذكر البطارقة وأحوالهم.

4- حسداي بن إسحاق الأندلسي⁸⁶: معتن بصناعة الطب، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان حسداي من أحبار اليهود متقدما في علم شريعتهم، وهو أول من فتح لأهل الأندلس باب علمهم من الدين والتاريخ وغير ذلك، وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد، فلما اتصل حسداي بالحكم، ونال عنده نهاية الخطوة توصل به إلى استجلاب ما شاء من مؤلفات اليهود بالمشرق، واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه.

5- أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي⁸⁷: من الفضلاء اليهود في صناعة الطب، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب أبقراط وجالينوس وفهمها، وكان قد سافر من الأندلس إلى الديار المصرية، واشتهر ذكره بها، وكان بينه وبين أبي بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجة⁸⁸ صداقة فكان دائما يراسله من القاهرة.

6- أفرائيم بن الزفان⁸⁹ هو أبو كثير أفرائيم بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، إسرائيلي المذهب وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر، وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهتهم على كثير من الأموال، وكان قد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن علي بن رضوان⁹⁰ وهو من أجل تلامذته، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب،

وفي استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها.

7- الرئيس موسى بن ميمون⁹¹: هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، عالم بسنن اليهود، ويعد من أحبارهم وفضلائهم، وكان رئيسا عليهم في الديار المصرية، وهو أوحّد زمانه في صناعة الطب، وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة بالفلسفة، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه، وكذلك ولده الملك الأفضل علي، وقيل إنّ الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر ارتد، وللرئيس موسى من الكتب اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، مقالة في البواسير وعلاجها، مقالة في تدبير الصحة .

8- الشيخ السديد بن أبي البيان: (556هـ - ..)⁹²: هو سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج إسرائيل بن أبي الطيب سليمان بن مبارك إسرائيلي، مولده بالقاهرة، وكان شيخا محققا للصناعة الطبية، متقنا لها، متميزا في علمها وعملها، خيرا بالأدوية المفردة والمركبة، عمل بالبيمارستان الناصري بالقاهرة وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ما ينبغي، وهي في نهاية الجودة، وكان شيخه في صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودي⁹³، وقرأ أيضا على أبي الفضائل بن الناقد⁹⁴، من كتبه كتاب الأقرباذين، وبالغ في تأليفه واقتصر على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة في البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيدلة، وتعليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس.

9- هبة الله بن جميع⁹⁵: هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن ابن إفرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي، من الأطباء المشهورين، والعلماء المذكورين، كثير الاجتهاد في صناعة الطب، حسن المعالجة، جيد التصنيف، وقرأ صناعة الطب على الشيخ الموفق أبي نصر عدنان بن العين زربي⁹⁶ ولزمه مدة، وكان مولد ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر، وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده، عالي القدر، نافذ الأمر، يعتمد عليه في صناعة الطب، وركّب الترياق الكبير الفاروق وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجا- د. حياة عبيد

بصناعة الطب، ومصنفاته جيدة التأليف، كثيرة الفوائد، منتخبة العلاج، وكان له نظر في العربية، وتحقيق للألفاظ اللغوية، وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح للجوهري حاضر بين يديه، ولابن جميع كتب منها: كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، ومقالة في الليمون وشرابه ومنافعه، مقالة في علاج القولنج.

10- السموأل بن يحيى المغربي (_ / 570هـ)⁹⁷: هو صموئيل بن يهوذا بن أيون، يهودي وابن أحد الأبحار الكبار من اليهود، نبغ في علوم كثيرة منها: الجبر والطب والهندسة، اتفق المترجمون لحياته على أنه ولد بالمغرب، وتوفي في مراغة من أرض أذربيجان سنة 570هـ، تبحر في التوراة وعلومها، وأتقن باقي العلوم، وتفنن في الطب فكان أحد فروع نبوغه، أسلم بعد رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم في المنام، ثم ألف كتابه الشهير "إفحام اليهود" الذي أصبح مرجعا في الرد على اليهود إلى يومنا هذا. وصفه من ترجموا له بأنه "يتوقد ذكاء"، بلغت مصنفاته خمسة وثمانين مصنفا، من أهم كتبه في الطب "المفيد الأوسط في الطب".

نخلص من خلال تتبعنا لتراجم تلك النماذج من أهل الذمة المتخصصين في علوم الطب أن ملامح وسمات وسطية الإسلام قد شملت حياتهم العامة والخاصة، فكانت نعم الدافع لهم للإسهام في بناء حضارتهم الإسلامية والإنسانية، فخلدت أسماؤهم وحفظت آثارهم جنبا لجنب مع سائر مواطني الدولة الإسلامية مسلمين كانوا أو غير مسلمين. ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

1- توفير الأمن والحرية والمساواة -وهي من أهم ملامح الوسطية- لأهل الذمة جعلهم يطمثون إلى انتمائهم للوطن الواحد، وأنهم لن يبخسوا حقوقهم، فتنقلوا بحرية في مختلف مراكز البحث العلمي المنتشرة في عواصم ومدن الدولة الإسلامية، وتحمسوا لطلب العلم والاختراع، وتبوأوا بفضلهم أرقى المناصب العلمية والإدارية والسياسية أيضا، فكان منهم الوزراء، والإداريون الكبار ورؤساء بيوت الحكمة ومراكز البحث العلمي، وأطباء كبار في أرقى مستشفيات الحضارة الإسلامية، وأطباء خواص للخلفاء والسلطين والوزراء.

2- اطمئنان أهل الذمة لعدل الإسلام -وهو أرقى سمات الوسطية- وتطبيق الحكام والمجتمع لأساسيات ذلك العدل في معظم الأحوال، ورقابة الفقهاء لذلك التطبيق

ووقوفهم ضدّ أيّ ظلم يلحق أهل الذمة من أيّ جهة خارجية أو داخلية، كلّ ذلك دفع أهل الذمة وحفزهم للإبداع في شتى المجالات ومنها مجال العلوم الطبيّة.

3- توفر الأجواء العلمية وتكافؤ فرص طلب العلم، وتمهينة الظروف المادية للاختراع والابتكار، وتشجيع الكفاءات وإجزال المكافآت لها بغض النظر عن دينها أو جنسها، كل ذلك أسهم في تشجيع جميع مواطني الدولة الإسلامية بما فيهم أهل الذمة للإسهام في تطوير العلوم وبناء حضارة إسلامية إنسانية راقية.

4- أمانة العلماء المسلمين أثناء ترجمتهم لتراث الأمم السابقة ونسبة أثارهم إليهم مهما كان معتقدهم، جعل أهل الذمة يشاركون في العملية التعليمية وتطوير البحث العلمي، فتبادل الأطباء في المجتمع الإسلامي الأدوار التعليمية فكان أهل الذمة أساتذة لأطباء مسلمين حيناً، وتلامذتهم حيناً آخر.

5- الموضوعية التي سادت الأجواء العلمية في المجتمعات المسلمة مكنت الأطباء من أهل الذمة الحصول على التقدير والاحترام والإعجاب من قبل الحكام والعلماء والمجتمع الإسلامي كافة، ممّا جعلت المؤلفين المعاصرين من المسلمين والمستشرقين يؤكدون على ذلك بقولهم: "ومن الأمور الشائعة في مؤلفات المسلمين-مثل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة-أن نجد الكاتب المسلم يكيل المديح لأحد أطباء اليهود أو النصارى، ويثني على علمه وخلقه، ويصفه بأنّه من أهل الفضل ممّا لا نظير له في عالم العصور الوسطى".⁹⁸

الخاتمة:

في ختام هذه الورقية البحثية يمكن تسجيل النتائج التالية:

1-الوسطية صفة الإسلام وميزته العالية، وهي سمة المجتمع الإسلامي والتي تحمل دلالات الخيرية والعدل والمساواة والأمان والاستقامة والتوازن واليسر ورفع الحرج.

2-أهل الذمة يشكلون مواطنين على قدم المساواة مع المسلمين بنص صحيفة المدينة المنورة، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين إلا ماله علاقة مباشرة بطبيعة المعتقد

دور وسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية-الأطباء من أهل الذمة في الغرب الإسلامي

ومصر نموذجاً- د. حياة عبيد

والدين، ولذا فملامح الوسطية تظهر وتتجسد في حقوق أهل الذمة وتمكينهم منها، كما تتجلى في رفع الحرج عنهم والبرّ والقسط معهم أثناء أدائهم لواجباتهم تجاه دولتهم ومجتمعهم كسائر المسلمين.

3- تتجلى أدوار تجسيد الوسطية ومظاهرها في التعامل مع أهل الذمة في اطمئنانهم لعدل الإسلام، وشعورهم بالأمن والأمان مما حفزهم على المشاركة في الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعهم لا فرق بينهم وبين غيرهم من المسلمين إلا ما تعلق بالمعتقد.

4- لوسطية الإسلام في التعامل مع أهل الذمة، وتحقيقها في المجتمعات الإسلامية قديما دور كبير في إسهام الأطباء الذميين في تطوير علوم الطب والابتكار والإبداع فيه مما شكل إضافة كمية ونوعية في بناء وترقية الحضارة الإسلامية الإنسانية.

التوصيات

نهايات هذه الورقية البحثية فتحت أقواسا لبدايات بحثية أخرى، لذا نتقدم بتوصيات أهمها:

- 1- ضرورة تشجيع البحث العلمي في مجالات حقوق الإنسان في الإسلام، وتحديدًا بيان حقوق وواجبات أهل الذمة في التاريخ الإسلامي نظريا وتطبيقيا، واستنتاج أسباب وظروف التجاوزات التي مست أهل الذمة لإنصافهم ولإنصاف الإسلام الوسطي أيضا.
 - 2- الإشارة إلى أهمية البحث والكتابة في تراجم العلماء المسلمين والذميين في تراثنا، وإظهار إسهاماتهم العلمية في الحضارة الإسلامية للإفادة منها في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والدعوية.
- وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الهوامش:

- ¹ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، دت، ج7، ص427.
- ² فريد عبد القادر، الوسطية في الإسلام، مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1410هـ-1411هـ، ص10-11.
- ³ راجع تفصيل ذلك في: فريد عبد القادر، الوسطية في الإسلام، المرجع نفسه، ص13 وما بعدها.
- ⁴ وذلك في الآيات التالية: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) البقرة/ 143، (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) البقرة/ 238. (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ) المائدة/ 89. (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) القلم/ 28. (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) العاديات/ 5.
- ⁵ راجع تفصيل ذلك: علي محمد الصلّابي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر، ط1، 1422هـ - 2001م، ص17-20.
- ⁶ بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ج18، ص95.
- ⁷ الطبري، جامع لبيان في تفسير القرآن، تحق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م، ج3، 143.
- ⁸ الطبري، جامع لبيان في تفسير القرآن، المصدر نفسه، ج3، ص142.
- ⁹ راجع تفصيل ذلك في: فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع السابق، ص20-28.
- ¹⁰ فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع نفسه، ص29.

- 11 راجع رأي فريد عبد القادر في كتابه وسطية الإسلام، المرجع نفسه، ص 29، وتفصيل الرد عليه في: علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 34-38.
- 12 انظر تفصيل ذلك: فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع السابق، ص 311، عبد العزيز عثمان شيخ، الوسطية في الإسلام وأثرها في الوقاية من الجريمة، رسالة ماجستير غير منشورة، نسخة إلكترونية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1429هـ - 2008م، ص 58-62.
- فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع نفسه، ص 323.13
- 14 فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع نفسه، ص 323-325، علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 171-172.
- 15 يوسف القرزاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1414هـ - 1993م، ص 137-141.
- 16 فريد عبد القادر، وسطية الإسلام، المرجع السابق، ص 38-48.
- 17 فريد عبد القادر، المرجع نفسه، ص 39.
- 18 فريد عبد القادر، المرجع نفسه، ص 43.
- 19 راجع تفصيل ذلك في: فريد عبد القادر، المرجع نفسه، ص 40-48.
- 20 الشاطبي، الموافقات، تحق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط 1، 1417هـ - 1997م، ج 4، ص 261.
- 21 علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 66-67.
- 22 المرجع نفسه، ص 67. نجد د. الصلابي استعمل لفظة الضابط بينما هو يتكلم عن السمات والملاحم، بينما فريد عبد القادر يؤكد أنّ ضوابط الوسطية ماهي إلا القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية.
- 23 ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج 12، ص 221.

- ²⁴ ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج12، ص221.
- ²⁵ راجع: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، دط، دت، ص 28.
- ²⁶ الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م، ج7، ص110-112.
- ²⁷ الكاساني، المصدر نفسه، ج7، ص111، عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في الإسلام، مكتبة القدس، العراق، مؤسسة الرسالة، سوريا، دط، 1402هـ، 1982م، ص23.
- ²⁸ الكاساني، المصدر نفسه، ج7، ص111.
- ²⁹ الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م، ج6، ص61.
- ³⁰ انظر: البهوتي الحنبلي، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ج3، ص116-117.
- ³¹ يقول د. عبد الكريم زيدان: "أما الفقهاء الآخرون من المذاهب الأخرى فلم أقف على قول صريح لهم حول هذا الشرط، فكأنهم تركوا التصريح باعتبار أن التأيد من مقتضى عقد الذمة وطبيعته"، عبد الكريم زيدان، المرجع نفسه، ص41.
- ³² الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المصدر السابق، ج7، ص110، وقد استثنى الكاساني مشركي العرب الوثنيين، راجع: عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين، المرجع السابق، ص27.
- ³³ الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المصدر السابق، ج7، ص110.

- 34 انظر: نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية: دراسة في سيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط2، 1415هـ-1994م، ص57.
- 35 عبد العزيز بن عثمان التويجري، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط. دون ترقيم الصفحات.
- 36 إسماعيل أحمد ياغي، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997/1418م، ص14.
- 37 عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ-1998م، ص31-32.
- 38 انظر: د. محمد الجوهري، الثقافات والحضارات - اختلاف النشأة والمفهوم-، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2008م، ص98-99، عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1399هـ-1979م، ص44-45.
- 39 الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المصدر السابق، ج7، ص111.
- 40 الكاساني، المصدر نفسه، ج7، ص111.
- 41 الكاساني، المصدر نفسه، ج7، ص110.
- 42 القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب، بيروت، دط، دت، ج3، ص14.
- 43 القرافي، الفروق، المصدر نفسه، ج3، ص14-15.
- 44 رواه أبو داود السَّجِسْتَانِي فِي كِتَابِ الْخِرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفِيءِ، بَابِ فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الدِّمَةِ انظر: سنن أبي داود، تحق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، دت، ج3، ص170، رقم3052، صححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415 هـ -1995 م، ج1، ص807، رقم445، أبو يوسف،

الخراج، تحق: طبه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث دط، دت، ص 139.

⁴⁵ القرافي، الفروق، المصدر السابق، ج 3، ص 11.

⁴⁶ أبو يوسف، الخراج، المصدر السابق، ص 136.

⁴⁷ أبو يوسف، المصدر نفسه، ص 135.

⁴⁸ يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص 12، يقول القرافي في ذلك "إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمائتنا) ودمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة، فقد ضيَّع ذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام" راجع: القرافي، الفروق، المصدر السابق، ج 3، ص 14.

⁴⁹ الكاساني، بدائع الصنائع، المصدر السابق، ج 7، ص 111.

⁵⁰ فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة في البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا، فإنه محرم عليهم كالمسلمين. كما يمنع أهل الذمة من بيع الخمر والخنازير في أمصار المسلمين، قال آدم ميتز: "ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوفرة، فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء. راجع: آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط 4، ج 1 ص 86.

⁵¹ أبو يوسف، الخراج، المصدر السابق، ص 139.

⁵² يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 3، 1413هـ - 1992م، ص 24.

⁵³ قال آدم ميتز "من الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال (الولاة وكبار الموظفين) والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأنّ النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام، راجع: آدم ميتز، الحضارة الإسلامية"، المرجع السابق، ج 1 ص 105.

⁵⁴ انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجليل، بيروت، د ط، 1991م، ج 1، ص 571 وما بعدها، حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط 5، 1985، ص 57. ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: (اعتراف الصحيفة بجماعة المختلفين، ثم وصفهم بالأمة الواحدة، يؤكد أنّ الألفة بين الجماعات المختلفة على أرض واحدة هي حجر الأساس في بناء الوطن...) محمد متولي الشعراوي، (دروس من الهجرة)، صحيفة الأخبار، مصر، 1993/07/16م.

⁵⁵ فهمي الهويدي، التدين المنقوص، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1983، ص 303.

⁵⁶: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، المصدر السابق، ص 45، ص 51.

⁵⁷ أبو يوسف الخراج، المصدر السابق، ص 36.

⁵⁸ أبو عبيد، الأموال، المصدر السابق، ص 54، وقد شددت الدولة الإسلامية على التزام الرفق والرحمة في جمع الجزية، فقد قَدِمَ أحد عمال عمر بن الخطاب عليه بأموال الجزية، فوجدها عمر كثيرة، فقال لعامله: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس؟ فقال: لا، والله ما أخذنا إلا عفواً صفوفاً. فقال عمر: بلا سوط ولا نوط؟ فقال نعم، فقال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني. راجع: أبو عبيد، المصدر نفسه، ص 54.

⁵⁹ مثل الزكاة التي هي ضريبة وعبادة في الوقت نفسه، ومثل الجهاد الذي هو خدمة عسكرية وفريضة إسلامية.

⁶⁰ القرافي، الفروق، المصدر السابق، ج 3، ص 12-13.

- 61 القرافي، الفروق، المصدر نفسه، ج 3، ص14، عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين، المرجع السابق، ص 217-218.
- 62 عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين، المرجع نفسه، ص131.
- 63 القرافي، الفروق، المصدر نفسه، ج 3، ص11-12.
- 64 سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 1999م، ص17.
- 65 آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ج1، ص80.
- 66 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، دط، دت، ص246-257، د. راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م، ص231.
- 67 آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ج1، ص99، ص162.
- 68 آدم ميتز، المرجع نفسه، ج1، ص97-108.
- 69 الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تعليق خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1420هـ-1999م، ص69.
- 70 وتعني الولاية وكبار الموظفين.
- 71 آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ج1، ص97.
- 72 راجع : ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ، المصدر السابق، ص186-214، راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية، المرجع السابق، ص273-278، يحيى وهيب الجبوري، بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، ص42-52.

- 73 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 257-274.
- 74 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 246-257، راغب السرجاني، قصة علوم الطبية، المرجع السابق، ص 231.
- 75 راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية، المرجع نفسه، ص 231.
- 76 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المصدر السابق، ص 257-274.
- 77 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 317-318.
- 78 لا يذكر ابن أبي أصيبعة في كثير من الأحيان تاريخ ميلاد ووفاة من ترجم لهم من الأطباء في كتابه عيون الأنباء، ويمكن استنتاج الفترة الزمنية التي عاش فيها بعض الأطباء المترجم لهم من الفترة الزمنية للملوك والأمراء الذين عالجهم هؤلاء الأطباء وكذلك من تاريخ وفاة ابن أبي أصيبعة إذ يتأكد لنا أنهم وجدوا قبل 668 هـ .
- 79 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 696، ولم يذكر ابن أبي أصيبعة تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته.
- 80 وهو يهودي النحلة، وستأتي ترجمته لاحقا.
- 81 ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، المصدر السابق، ص 479-480.
- 82 اسحاق بن عمران :طبيب مسلم مشهور وعالم مذكور ويعرف باسم ساعة، وقال سليمان ابن حسان المعروف بابن جلدل إن إسحاق بن عمران مسلم النحلة، وكان بغدادي الأصل، ودخل إفريقية في دولة زيادة الله بن الأغلب التميمي وهو استجلبه وأعطاه شروطاً ثلاثة لم يف له بأحدها، بعث إليه عند وروده عليه راحلة أفلته وألف دينار لنفقته، وكتاب أمان بخط يده متى أحب الانصراف إلى وطنه انصرف وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة، وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الأدوية المركبة بصيراً بتفرقة العلل، أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته، استوطن القيروان

حيناً، وألف كتباً منها كتابه المعروف بنزهة النفس، وكتابه في داء المالنخوليا لم يسبق مثله، وكتابه في
 الفصد، وكتاب في النبض. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المصدر نفسه، ص 478-479.

⁸³ قرضه الطيب علي بن رضوان المسلم بخطه على الكتاب: أقول أنا علي بن رضوان الطيب أن
 هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل، وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه، وبالله التوفيق
 والمعونة. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المصدر نفسه، ص 480.

⁸⁴ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، ويعرف بابن الجزار مسلم من أهل القيروان طيب ابن
 طيب وعمه أبو بكر طيب وكان ممن لقي إسحاق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه، وكان ابن الجزار
 من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم، حسن الفهم لها،
 ومن كتبه في الطب: زاد المسافر، كتاب في الأدوية المفردة، كتاب في الأدوية المركبة، كتاب العدة
 لطول المدة، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، كتاب طب الفقراء، رسالة في إبدال الأدوية،
 كتاب في الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها، وغير ذلك كثير. انظر: ابن أبي
 أصيبعة، المصدر نفسه، ص 481-482.

⁸⁵ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 545-546.

⁸⁶ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 498.

⁸⁷ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 499-500.

⁸⁸ هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ، ويعرف بابن باجة، من الأندلس، وكان في العلوم الحكمية
 علامة وقته وأوحد زمانه، وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن، ويعد من الأفاضل في
 صناعة الطب، وكان من جملة تلاميذ ابن باجة أيضاً القاضي أبو الوليد محمد ابن رشد، وتوفي ابن
 باجة شاباً بمدينة فاس ودفن بها. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المصدر نفسه، ص 515-
 517.

- 89 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 567.
- 90 هو أبو الحسن عليّ بن رضوان بن علي بن جعفر، مسلم، وكان مولده ومنتشؤه بمصر، وبها تعلم الطب، وكسب مالا كثيرا. انظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 561-567.
- 91 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 582-583.
- 92 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 584.
- 93 وستأتي ترجمته.
- 94 لقبه المهذب، كان طبيبا مشهورا، وعالما مذكورا، له العلم الوافر، والأعمال الحسنة، والمداواة الفاضلة، وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل، إلا أن الكحل كان أغلب عليه، وكان كثير المعاش، عظيم الاشتغال، حتى أن الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر أوقاته يقرؤون عليه، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى، وتوفي سنة 584هـ بالقاهرة، وأسلم ولده أبو الفرج، وكان طبيبا وكحالاً أيضاً. انظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 580.
- 95 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 576-579.
- 96 هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة، وأقام ببغداد مدة، واشتغل بصناعة الطب وبالعلوم الحكيمة ومهر فيها، وخصوصاً في علم النجوم، ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية إلى حين وفاته وخدم الخلفاء المصريين، حظي في أيامهم، وتميز في دولتهم وكان من أجل المشايخ، وأكثرهم علماً في صناعة الطب، وصنف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب، وكانت له تلاميذ عدة يشتغلون عليه، وكل منهم تميز وبرع في الصناعة، وتوفي رحمه الله في 548هـ بالقاهرة، وذلك في دولة الظاهر بأمر الله. وله من الكتب الكافي في الطب، وشرح كتاب الصناعة الصغيرة للجالينوس، مجربات في الطب على جهة، ومقالة في الحصى وعلاجه. انظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 570-571.

- 97 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 471-472. راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية، المرجع السابق، ص 267-271.
- 98 سعيد عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 19.

The role of Islam's moderation in dealing with the Dhimmis in building Islamic civilization -Doctors from the dhimmis in the Islamic West and Egypt as an example-

Dr Hayat ABID

Institute of Islamic Sciences - University of Eloued – Algeria



Abstract:

Islam was distinguished by moderation, as it brought justice, equality, freedom, tolerance, and cooperation. This research shows the effect of the moderation (alwasatiat) of Islam in dealing with non-muslims people (Ahl –edhimma) – as Christians, Jews, Sabians, and others – in building the civilization of Muslims, and explains the role played by dhimmi doctors in the Islamic West and Egypt in the development of medical sciences.

We concluded that the moderation of Islam motivated the people of devotion to innovate and develop medical sciences, so they contributed to building an Islamic human civilization.

Keywords: Islamic West, Moderation, Islamic Civilization, Dhimmis, Medical Sciences.